السياسات اللغوية في البلاد المستعمَرة: الاستعمار الفرنسي للجزائر أنموذجاً

Language Policy in Colonized Countries: A Case Study of the French Colonization of Algeria

Dasar bahasa di Negara-negara yang dijajah: Algeria sebagai satu kajian kes Negara jajahan Perancis

دربال بلال*

ملخص البحث:

استقل علم السياسة اللغوية عن اللسانيات الاجتماعية، وأصبح موضوعه خدمة للغة في المجتمع، إلا أن السياسة اللغوية الاستعمارية في الجزائر لم تكن لغوية فقط، بل كانت تطمح إلى مغانم ثقافية ودينية، ولغوية...إلخ، وبتعبير أدق مغانم ترتبط بالهوية؛ لذا رسم الاستعمار الفرنسي سياسة لغوية تقويضية للوضع اللغوي الجزائري المستقر منذ قرون. كانت العربية تنعم بالتعايش مع كل اللهجات واللغات حتى الأمازيغية منها، ولكنّ فرنسا أرادت أن تدخل العربية في علاقة قوة مع باقي الفضاءات اللغوية الجزائرية والأجنبية، فكان تدميرها في تدبيرها، لذا حصدت نتائج هزيلة طوال وجودها في الجزائر، فكان لها سياستها اللغوية التي رسمتها عبر المنهج الذي تقره اللسانيات الاجتماعية عامة وعلم السياسات اللغوية خاصةً، وقد اعتمدت في رسم سياستها اللغوية على الساسة وضباط الجيش والمعمريين أو على علماء اللغة واللسانيين الاجتماعيين. خرجت الدراسة ببعض النتائج المهمة، وهي: ظهور اللغة الفرنسية على الساحة اللغوية الجزائرية لم يكن ظهورًا بريئًا، وأنّ العامية شكلت الخطوط الخلفية للفصحى، وحاولت فرنسا جعل الأمازيغية شوكة في خاصرة الكيان اللغوي الجزائري، وأن السياسة اللغوية التي رسمتها فرنسا للجزائر كان هدفها إحداث تغيير اجتماعي كبير عن طريق الفرنسة، وكان لفرنسا سياسة لغوية خاصة بالجزائر، رتبت فيها الأولوية لنشر الفرنسية على حساب اللغة العربية والأمازيغية؛ ففرنسا رصدت الوضعية اللغوية الجزائرية، ثم حددت أهدافها واستراتيجياتها.

* طالب دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار– اللغة الفرنسية– السياسة اللغوية– اللسانيات الاجتماعية– الهوية.

Abstract

Language policy is a branch which is independent from sociolinguistics as its topics are more about serving the language in the society. In the case of Algeria, the French colonial language policy was not only restricted to the issue of language but interfered with the aspects of culture and religion which are integral to the identity of the local people. In this regard, the French had adopted a language policy meant to undermine the language situation of Algeria that was established since centuries. Arabic had coexisted with other language such as Amazigh and other dialects but the French language policy had resulted in putting Arabic to be at odd with these languages by adopting language policy that was derived from findings of sociolinguistics as well as from language policy and planning. This was implemented through the high ranking officials in the army and the scholars of language. The study concludes among others: the emergence of French in Algeria was on the expense of the existing language coexistence; dialects formed the backgrounds of standard Arabic; Amazigh was made to become an undermining factor to the language situation in Algeria; the language policy adopted was meant to change the identity of the society through turning it into a French society; the French in this regard had a specific language policy for Algeria in which French language was given more priority over Arabic and Amazigh; the French was closely monitoring the language situation in Algeria by planning the objectives strategies of the language policy

.

Keywords: colonization – French – language policy – sociolinguistics – identity.

Abstrak:

Perancangan bahasa adalah satu cabang yang tersendiri berbanding sosiolinguistik memandangkan skop perbicaraanya adalah lebih menyentuh tentang persoalan bahasa dalam masyarakat. Dalam hal Algeria, perancangan bahasa dan polisi berkaitan dengannya bukan sahaja menyentuh persoalan bahasa bahkan turut melibatkan aspek-aspek budaya dan juga agama yang merupakan identiti penduduk tempatan. Pihak penjajah Perancis telah melaksanakan satu dasar yang mengeruhkan hubungan antara bahasa-bahasa di Algeria yang telah wujud sejak sekian lama dengan menjadikan Bahasa Arab dalam kedudukan tidak lagi harmoni dengan dialek serta bahasa-bahasa tempatan lain. Polisi ini dikatakan telah mngambil kira dapatan dan penemuan daripada bidang-bidang sosiolinguistik dan perancangan bahasa. Perlaksanaan dasar ini didukung oleh dasar pentadbiran kolonial melalui

pegawai-pegawai atasan tentera serta cendiakawan-cendiakawan bidang bahasa. Antara dapatan kajian ini ialah: Kemunculan bahasa Perancis telah mempengaruhi keharmonian hubungan di antara bahasa-bahasa yang telah wujud di Algeria; dialek-dialek bahasa Arab mula ditonjolkan; bahasa Amazigh dijantikan alat untuk melemahkan keadaan bahasa di Algeria; dasar bahasa kolonial Perancis bermaksud untuk mengubah sosiopolitik Algeria untuk menurut keadaan Perancis dengan memberikan tumpuan yang lebih kepada pengukuhan bahasa Perancis dan bukannya bahasa Arab; pihak Perancis sentiasa memantau keadaan bahasa di Ageria untuk merancang dengan strategic dasar bahasa yang bertepatan dengan objektif penjajahan.

Kata kunci: Penjajahan – Perancis – dasar bahasa – sosiolinguistik –Identiti

مقدمة:

ظهرت إسهامات علماء الطبيعة والفيزياء والفلاسفة ورجال الدين في البحوث اللغوية منذ وقت مبكر، وظلت متواصلة حتى زمننا؛ لأن اللغة تعتبر ظاهرة إنسانية لافتة، إلا أن إسهام علماء اللغة كان الأكبر خاصة فيما تعلق بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع. ومن جديد هذه الدراسات ما عرف بـ: السياسة اللغوية (Politique linguistique) بالفرنسية و(linguistic politic) بالإنجليزية.

والحقيقة أن مفهوم السياسة تطور من مفهوم إدارة ورعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية إلى دراسة شؤون الدولة من دستور ونظام، ثم خرج استعمال مصطلح السياسة إلى مجالات أخرى غير الحكم وشؤون الدولة، ولكنها استعمالات للسياسيين في أغلبها؛ كقولهم: سياسة الدفاع، السياسة النفطية، السياسة الثقافية، السياسة اللغوية.[١]

ومن الطريف أن تعريف أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق م) للسياسة يعكس هيمنة السياسة على مجالات الحياة؛ حيث قال عنها: (هي علم السِّيادة وهي سيِّدة العلوم)؛٢ فهي سيدة العلوم لأنها تطلق على أي عمل مبني على تخطيط مسبق، فيقال مثلاً سياسة التنمية الاقتصادية ويراد تخطيط التنمية الاقتصادية،[٣] ومثلها أيضاً السياسة اللغوية.

وفقاً لهذا المنظور؛ يبدو أن الإطار العلمي المحض للدراسات اللغوية قد يتأثر إذا احتك بالساسة وتخطيطهم طمعاً في السيادة؛ وهو ما جعل البَوْنَ شاسعاً بين الجهود الجليلة البريئة لعلماء اللسانيات الاجتماعية في خدمة اللغة وتفعيل دورها الإيجابي في المجتمع، وبين تدابير أصحاب النفوذ والمصالح، خاصةً إذا كانت تحت الطاولة؛ لأن الزمن كفيل بجعل تلك التجارب تطفو لتفوح منها ألاعيب السَّاسة والنخب

المضادة، فتظهر تلك القذارة التي أُلبست ثوب البراءة. فماذا لو كان هؤلاء السَّاسة أو أذنابهم يمثلون استعماراً بل استدمار –كما يُصِرُّ المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم على نَعْتِه– لأنه يدمِّر ولا يعمِّر؟ وماذا لو كان هذا المستعمر هو فرنسا بالذات؟ ألَا يُصنَّف الاستعمار الفرنسي ضمن الاستعمار "الحُلُولي" الذي لا يَرضى إلَّا بالتَّلَبُس بضحيته كتلبس الجن بالإنس والعياذ بالله؟

لقد كان ولا يزال شعار فرنسا –الحرية والمساواة والأخوة– فإلى أي مدى يظهر ذلك في جهودها اللغوية؟ وهل فعلاً كانت دولة تحترم الحرية اللغوية للشعوب؟ وهل كانت ترسم سياسة لغوية بمواصفات علمية أكاديمية أم بمواصفات استعمارية استدمارية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة انتهج هذا البحث منهجاً وصفياً تحليلياً، ينطلق من تعريف السياسة اللغوية وآليات عملها ثم يفصِّل السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر في فترة الاحتلال تفصيلاً يصور كل زوايا حلبة الصراع اللغوي؛ أهدافاً واستراتيجيات قانونية ومالية.

أولاً: تعريف السياسة اللغوية

إن مصطلح السياسة اللغوية مركب وصفي بسيط[٤] ترجم إلى العربية عن مركب أجنبي بسيط، فهو يقابل في الفرنسية (Politique Linguistique) ، وفي الإنجليزية بـ: (linguistic politic).

يعرفها لويس جان كالفي (L. J. Calvet) بقوله: (نحن نعتبر السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن).[٥]

و يمكن أن نسجل جملة من الملاحظات سكت عنها هذا التعريف:

السياسة اللغوية عبر هذا التعريف عبارة عن اتخاذ قرار بشأن جملة من الخيارات المطروحة التي قد تكون قابلة للتنفيذ وقد لا تكون. وتبقى الأسئلة التي لا يجيب عنها التعريف، هي: من يتخذ قرار تنفيذ هذه الخيارات الواعية؟ ومن يفصل في قابليتها للتنفيذ من عدمه؟ إذا كانت مؤسسة فما طبيعتها؟ وإذا كانوا أفراداً فما هويتهم؟

تتخذ القرارات بصورة واعية مقصودة لا عفوية ولا ارتجالية –إذْ هذا ليس من السياسة والتخطيط– وهو ما يوحي بطابع الإعداد المسبق لمسودة مشروع مدروس بطريقة علمية، وتبقى الأسئلة المطروحة حول هوية معد هذا المشروع أو ما سماه التعريف بالخيار؟ فهل من يعد هو من ينفذ؟ ثم ما الأسس العلمية التي نحكم بها على مسودة المشروع، ونقول إنها أعدت بطريقة علمية؟ وهو ما لا يجيب عنه التعريف أيضاً.

يحصر التعريف موضوع السياسة اللغوية الأساس في علاقة اللغة بالحياة الاجتماعية وعلى وجه الخصوص علاقتها بالوطن. ويَبقى التعريف هنا مجملاً دون تفصيل ولا تدقيق في طبيعة هذه العلاقة بين اللغة

أو اللغات من جهة وبين الحياة الاجتماعية، هل هي علاقة تعايش أم صراع وتنافس؟ كما يُبقي التعريف العلاقة غامضة بين اللغة والسياسة.

ثانياً: منطلقات السياسة اللغوية

١. الجماعة اللغوية أو الجماعات:

اللغة أو اللغات: إرادة تنظيم علاقة –لافتة للانتباه– بين اللغة والحياة الاجتماعية؛ كإرادة إحياء لغة ما مثلاً أو الرغبة في اعتماد أو تحييد أو عصرنة لغة أو لغات ما، وخيارات مدروسة دراسة علمية تهدف إلى تنظيم العلاقة بين اللغة أو اللغات والمجتمع، ووجود سلطة ما تنظم الحياة داخل الوطن بما فيها تنظيم الوضعية اللغوية.

هذه الملاحظات وغيرها شكلت فعلاً موضوع دراسات واسعة ومعمقة، ودارت حولها استبانات واستقصاءات وإحصاءات عديدة، بغية التأصيل أكثر لهذا الوليد الجديد (السياسة اللغوية)؛ لأن (هذا التصور لا يقدم أي استبصار فيما يخص الأساس الإيديولوجي أو البنوي لسياسة التخطيط اللغوي، ولا لعلاقتها بالسلطة والهيمنة، أو بدورها في الاستغلال والصراع).[٦]

ولعل الضبابية التي يغرق فيها تعريف كالفي للسياسة اللغوية؛ تعود إلى حداثة هذا الفرع من اللسانيات الاجتماعية حديثة النشأة.

٢. آليات رسم السياسة اللغوية:

إن منهجية رسم سياسة لغوية لا تبتعد عن منهجية علم اللغة الاجتماعي، طالما أنها سليلة هذا العلم. يقول ميشال زكريا –معتبراً السياسة والتخطيط اللغويين بمعنى واحد–: (إن التخطيط الألسني ككل تخطيط يتطلب دراسة الاحتياجات والأهداف والوسائل ووضع خطط العمل وتقييمه. لذا ينبغي على المسؤول عن التخطيط أن يُلم بقضايا اللغة في المجتمع قبل البدء بعمله، وأن يتحرى المشاكل الألسنية، وأن يدرس العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية التي تتداخل مع المسألة اللغوية في المجتمع).[٧]

فآلية رسم سياسة لغوية تكون بثلاث مراحل أساسية، هي:

أ. وصف الوضعية اللغوية الاجتماعية المراد التدخل في تسييرها وصفاً علمياً دقيقاً، حتى تتحقق كفاية الوصف والتحليل. ولا يكون ذلك إلا بجرد المشاكل المطروحة المعاشة وتحليلها من منظور لساني اجتماعي.

ومن أحسن طرق الوصف طريقة كالفي في رصد الظواهر اللغوية والآثار السياسية الاجتماعية المترتبة عليها، وهي تركز على عنصرين، وهما:[٨]

دراسة ميدانية يقوم بها تلاميذ "كالفي"، وتقوم هذه الدراسة على الملاحظة المباشرة وعلى الجمع والاستقصاء والاستبيان وإظهار النتائج في جداول وإحصائيات. كما تعتمد هذه الدراسة على انتقاء ميادين الدراسة، فركز "كالفي على الأسواق؛ لأنها أكثر الأماكن ملاءمة لدراسة التبادل اللغوي. وكان يسمي هذه الدراسة بـ: "الدراسة في الجسم الحي". فأدوات البحوث الميدانية تعتمد الملاحظة بأنواعها المختلفة، ودراسة الحالات، وعمليات المسح بالعينة أو المسح الشامل، وإجراء المقابلات وتحرير التقارير والاستعانة بأجهزة التسجيل المختلفة وأجهزة التصوير.[٩]

دراسة في مراكز صنع القرار وقيادة الأركان، أي دراسة مكتبية خارج الميدان لما تم جمعه من الميدان.

ب. تحديد الأهداف الكبرى والمرحلية والتوجهات العامة، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة النتائج المراد الوصول إليها.

ج. وضع الاستراتيجيات[١٠] وتحديد الوسائل التي ستمكن من إجرائها وتكفل تحقيق الأهداف وتنفيذ السياسة اللغوية.

تسمى المرحلة الأولى عند روبيير باربيار (R. Barbier) بمستوى تقييم الوضعية، أما المرحلتين الأخيرتين فتمثلان مستوى السياسة اللغوية،[١١] أي الوجه المدني لحرب اللغات كما يقول كالفي.[١٢]

ثالثاً: السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر إبان فترة الاستعمار

إن مشروع فرنسا اللغوي رُسم ليمس ثلاث لغات؛ اللغة العربية والأمازيغية والفرنسية، هذه الأخيرة هي التي يراد جعلها أكثر اللغات تأثيراً وبقاءً في الجزائر، فهل تم لها ذلك؟ وكيف؟

١. تقييم فرنسا الوضعية اللغوية الجزائرية قبل وأثنائه الاحتلال:

إن المؤرخين أكدوا على أن فرنسا استعانت بجيش من الباحثين المتخصصين في شؤون المستعمرات والعلماء والمستشرقين، كان فتح الجزائر مختبراً لهم، كل في مجال تخصصه، للتعرف على الجزائر ما لها وما عليها، وكيف يمكن قهر كبريائها التاريخي.[١٣] بل إن أمثال هؤلاء قد سبقتهم فلول من الجواسيس حتى قبل الاحتلال يقول "محمد الهادي الحساني": (تعود أطماع فرنسا في الجزائر إلى ما قبل سنة ١٨٣٠م بوقت طويل؛ فقد بعث الملك الفرنسي "شارل التاسع" رسالة في ١١مايو ١٥٧٢م إلى سفيره في استنبول فرانسوا دو نوا (F. de Noailles) يأمره فيها أن يطلب من السلطان العثماني سليم الثاني أن يتخلّى- مقابل مبلغ مالي سنوي- عن الجزائر ليعيّن عليها أخاه دوق أنجو (le duc d'Anjou) (الملك هنري الثالث فيما بعد).[١٤] فما غزو ١٨٣٠م إلا بعث لمشروع استعماري قديم. فالوضعية اللغوية الجزائرية- المتسمة بالتعددية المتعايشة- كانت مبسوطة على طاولة الإدارة الفرنسية بكل أبعادها الجغرافية والاجتماعية، ومواطن الوهن فيها كانت متكشفة

يمكن التسلل عبرها، وهذا سهّل على فرنسا افتراس الكيان اللغوي الجزائري؛ وترك الجزائر في وحل الصراع اللغوي بقيت تعانيه منه إلى ما بعد الاستقلال.

وقد خلص خبراء فرنسا إلى أن الجزائريَّ فيه صفة لا يمكن تجاهلها عند التعامل معه؛ وهي تمسكه بدينه واعتزازه بلغته العربية وحبه لوطنه وغيرته على عرضه وشرفه. ومن هنا انطلقت فرنسا في مسيرة الألف ميل من التخطيط لتدمير مقومات الهوية.[١٥] وكانت اللغة العربية هي المدخل الرئيس والمجال المحوري والحيوي لإحداث هذه الهزة القوية. إنها معركة بدأت بالاحتلال وكانت اللغة منطلقها، واستمرت ولم تتوقف حتى بعد رحيل المحتل.[١٦]

٢. أهداف فرنسا اللغوية في الجزائر:

رغم مناورات فرنسا وإتقانها لعبة التخفي؛ إلا أن أهدافها الحقيقية أظهرها التاريخ عبر ما خلفته على الساحة اللغوية الجزائرية، ويمكن إيجاز الأهداف اللغوية فيما يأتي:

أ. جعل الجزائر بوابة لإفريقيا يمتد عبرها الوجود اللغوي والثقافي الفرنسيَيْن إلى بقية بلدان إفريقيا،[١٧] ولا يكون ذلك إلا بتحويل كل الجزائريين إلى رعايا فرنسيين مرتبطين عاطفياً ولغوياً وفكرياً بفرنسا.[١٨] وهذه النوايا في التوسع الجغرافي والوظيفي للفرنسية انطلاقاً من الجزائر نحو إفريقيا، يؤكدها الجغرافي الفرنسي أونيسيم ريكلو (O. Reclus) عندما يقول عن الفرنسية سنة ١٨٨٠م: (إنها اللغة الأم أو الرسمية لأكثر من ٤٠٠٠٠٠ من معمري الجزائر العازمين على الذهاب بعيداً في استيطان هذه القارة)[١٩] عن طريق توطين لغتهم ومن ورائها دينهم وثقافتهم.

ب. إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية، يقول دي روفيقو (D. Rovigo) سنة ١٨٤٣م معرباً عن نية التطويع اللغوي: (إني أنظر إلى نشر التعليم وتدريس لغتنا بحسبانها الأداة الناجعة المثلى لبسط نفوذنا في هذا البلد (...) والمعجزة الحقيقية الواجب القيام بها تكمن في إحلال الفرنسية محل العربية تدريجياً).[٢٠]

ج. جعل التمدرس انتقائياً يسمح بظهور ثلاثة أنواع من المتمدرسين؛ النوع الأول هم أطفال الفلاحين الفقراء وأبناء الزاحفين نحو المدن بحثاً عن العمل، وهؤلاء يجب إقصاؤهم كلية عن التعليم؛ أما النوع الثاني فهم أبناء الطبقات الوسطى من البرجوازية الحضرية والريفية التي سيتم إدماجها لتصبح قوة عاملة ضرورية لرأس المال المحلي وبخاصة أولئك الذين جاؤوا من بلد المستعمر، فيسمح لهم بالتعليم؛ وأخيراً أطفال الطبقات الحاكمة البرجوازية سواء الأوربية

أم الجزائرية أم الريفية أم الحضرية، التجارية أم الصناعية، أم حتى البرجوازية الصغيرة من أعيان الإدارة والأعمال الحرة الذين سيسمح لهم بمزاولة الطورين الثانوي والجامعي لتكوين نخبة مفرنسة منهم، وهو ما ظهر بالفعل على أرض الواقع أيام الاحتلال.[٢١] فمنذ أواخر القرن التاسع عشر كتب الجغرافي أونيسيم روكلو (O. Reclus) يقول: (هناك عدة آلاف من العرب والبربر في التل الجزائري، وتونسيون بل وحتى مغاربة يتواصلون معنا بكل طلاقة بواسطة لغتنا، ولعل ما كان يعد قبل مائة عام تقريباً بالآلاف صار الآن يعد بالملايين).[٢٢]

د. جعل الشعب أُميا في لغته وثقافته، بل أمي حتى في الفرنسية إلا ما تحتاج إليه فرنسا منه؛ وجعل التعليم موجهاً مسَيَّساً لا يجب عليه أن يخرج عن حدود الوظائف التي حددتها له.

هـ. دفع كل الجزائريين إلى الركون إلى الشفوية، حتى غدت فعلاً هي وسيلة التعبير الغالبة، وشكلاً من أشكال المقاومة.[٢٣] فتراجعت الفصحى إلى خطوطها الخلفية المتمثلة في العربية الدارجة. يقول أبو العباس أحمد بن الهاشمي في **جريدة البصائر** موجها كلامه للشباب: (لئن كان منكم من حيل بينه وبين الفصحى فلا أقل من أن ينال حظه من اللغة الدارجة، فإن الرطانة التي تفاحش أمرها في عموم القطر، وتشوهت بها الألسن أيما تشوه تركتنا خائفين على لغتنا العامية ذلك الخيال الباقي من العربية).[٢٤]

و. الاستعانة باللغة الأمازيغية على اللغة العربية: فالنبش في التراث اللغوي الأمازيغي السحيق قد ثبت تاريخياً أن لم يَسبق أحد الفرنسيين إليه؛ لأنه يعزز النفوذ اللغوي الفرنسي.[٢٥]

ز. التفكير في تنظيم يجمع متكلمي اللغة الفرنسية: ولقد اختارت الإدارة الفرنسية مصطلح الفرانكفونية (Lafrancophonie) بالفرنسية الموازي بالإنجليزية (Francophonie)، منذ أن استعمله الجغرافي الفرنسي أونيسيم ريكلو سنة ١٨٨٠م عند تصنيفه لسكان العالم انطلاقاً من اللغة التي يستخدمونها، وحينها قال: (نحن نتقبل كفرانكفونيين كل أولئك الذين يتحدثون الفرنسية أو قرروا أن يصبحوا مساهمين في لغتنا).[٢٦] وهذه بداية التفكير الجدي في هذه المنظمة التي كانت فكرة تخامر العقول وتنتظر الظهور.

رابعاً: استراتيجيات فرنسا لخدمة لغتها

١. الترسانة التشريعية والقوانين المسَيّسة: إن الجزائر اليوم تعيش توابع القرصنة الأولى،[٢٧] وفي سبيل إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة، لابد لذلك من استراتيجيه لغوية محكمة الحبك، كان منها استصدار قرارات لمنع استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي منعاً مطلقاً؛

إذ كل الوثائق والمستندات لن تقبل في الإدارة إلا إذا كانت مكتوبة باللغة الفرنسية؛ حتى يصير كل شيء وأي شيء باللغة الفرنسية وحدها حتى عناوين الرسائل، وأسماء الشوارع، وأسماء المحلات، والأماكن العامة، وشارات المرور بما فيها التوقيع على الوثائق؛ لن يقبل إلا باللغة الفرنسية، وهذا ما حدث فعلاً.[٢٨]

٢. إنشاء المؤسسات – المسَيَّسة – التربوية والإعلامية والترفيهية والدينية: فالمشروع اللغوي الفرنسي كان مشروعاً تقويضياً لمقومات الشخصية الجزائرية، بدأ بالمقوِّم اللغوي العربي أساساً؛ إذْ عمدت الإدارة الفرنسية إلى تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات لا قيمة لها، ويمكن إهمالها جميعا في التعليم واعتماد الفرنسية بديلاً حتمياً عنها:[٢٩]

أ. عربية عامية يستعملها الشعب وهذه لا قيمة لها، ومن ثمّ ليست مادة صالحة للتعليم في المدارس.

ب. عربية فصحى 'لغة القرآن' وهذه مثلها مثل اللغتين اليونانية واللاتينية تعتبر لغة ميتة لا تواصل بها ولا قيمة لها.

ج. عربية حديثة وهي معروفة بصورة باهتة في الجزائر لأنها نتاج بعض المتعلمين، وهي في الحقيقة لغة أجنبية وأداة للقومية العربية ولذلك يجب إبعادها عن برامج التعليم.

وبعد هذه المرحلة الأولى التي تلغي العربية المكتوبة وتدفع الجزائريين نحو الأمية والركون إلى الشفوية. جاءت مرحلة الفرْنسة، وهي إحدى مراحل الغزو التي تحدث عنها ألفريد رامبو (A. Rimbaud).[٣٠] والفرْنسة تعني: (إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها في الجزائر، حتى ينسى الجزائريون– بمرور الزمن– لغتهم وثقافتهم القومية ويستعيضوا عنها باللغة والثقافة الفرنسية... إلخ).[٣١]

أما على صعيد الإعلام فقررت إنشاء ما أمكن من همزات الوصل الإعلامية لخدمة اللغة الفرنسية بالأساس، وهو ما ستبينه الأمثلة لاحقا. وستبين أمثلة أخرى إستراتيجية خدمة اللغة الفرنسية عن طريق المتحمسين المتدينين الذين قبلوا التضحية بكل شيء خدمة للمسيحية، حتى الترفيه لا بد من أن يتحمل بعضاً من العبء في القضاء على اللغة العربية واستبدالها بالفرنسية.

خامساً: التأثيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية

١. استغلال الإعلام المضاد والموجه لتكوين رأي عام ولو بالمغالطة؛ فأولى الأكاذيب السمجة التي سوقها الإعلام الفرنسي؛ أن الاحتلال هدفه نقل الحضارة، وعدّ جول كامبون (J. Cambon) احتلال فرنسا للجزائر أنّه كان في جملته إنسانياً عميقاً!.[٣٢]

٢. تعزيز مركب النقص والانبهار بالمدنية الفرنسية عند الجزائريين، عبر سياسة غسل المِخاخ بتنظيم زيارات إلى فرنسا بالإغراء مرة والإكراه مرات، فالطرق الملتوية التي انتهجتها فرنسا لإنشاء جماعة النخبة ذات التوجه الفرانكفوني، وتداعيات نشأة هذه الجماعة المارقة لغوياً وفكرياً عن المجتمع؛ مبحث لاحق.

٣. الاستعانة بالمرأة في نشر الفرنسية بين الجزائريات تحت مظلة الجمعيات الخيرية.

٤. ترسانة الموارد المالية:(التمويل الموجه والمسيس): فالإدارة الفرنسية سهرت فعلاً على برمجة أغلفة مالية لتمويل سياستها اللغوية في الجزائر، وإن كشفت الأيام أن الأرقام المالية كانت تميل لكفة الكولون على حساب تعليم الجزائريين.

سادساً: تنفيذ فرنسا مخططها اللغوي

بدأت فرنسا في فرض اللغة الفرنسية على الجزائريين بالحديد والنار وعنف جم قلما شهد تاريخ البشرية مثالاً له،[٣٣] ومن ذلك:

١. استصدار القوانين والمراسيم التي تدعم استعمال اللغة الفرنسية:

بدأت قضية مراسيم تعليم الفرنسية منذ ٢٤ أكتوبر ١٨٤٢م، حيث أصدر وزير الحربية أمراً بتعليم اللغة الفرنسية للأطفال العرب في المدارس الأهلية.[٣٤] ومن أهم قرارات وتعليمات فرض التعامل بالفرنسية وإقصاء العربية. مايأتي:[٣٥]

أ. قرار صدر عام ١٨٤٨م حول اللغة ورد فيه: (إن لغتنا هي اللغة الحاكمة، إن قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته... بهذه اللغة، وبهذه اللغة وحدها، يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا... وأن أهم ما ينبغي أن نعتني به هو السعي لجعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين).

ب. تعليمة موجهة إلى حاكم الجزائر غداة الاحتلال جاء فيها: (إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية، والعمل الجبار الذي يجب إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية).

ج. في عام ١٩٠٤م صدر قانون يحرم على الجزائريين أن يفتحوا مدرسة عربية أو كتاباً لتعلم القرآن ما لم يحصلوا على ترخيص.

د. ثم جاء قرارشودان (Chaudain) وزير داخلية فرنسا في عام ١٩٣٨م ليؤكد على تطبيق القانون السابق الخاص بمنع فتح مدرسة لتعليم العربية، إن هذه الترسانة من القوانين، تعكس الصراع اللغوي الذي طال واحتدم.

٢. محاصرة وغلق مؤسسات تعليم العربية وانطلاق مرحلة فرض الفرنسة اللغوية في عدة قطاعات، منها:

أ. فرنسة الإدارة: وقد سبق الحديث عن قرار صدر عام ١٨٤٨م.

ب. فرنسة التعليم: يقول المؤرخ موريس فاهل (M. Wahel): (لقد شرعنا بادي ذي بدء في هدم كل المساجد تقريباً "وهي المدارس الابتدائية"، والزوايا [الريفية]، والمدارس [الثانوية]، وبعض المدارس الإسلامية الأخرى الموجودة قبل ١٨٣٠م، وبعدها انهمكنا في إجراء تجارب ارتجالية لم تنجر عنها سوى نتائج هزيلة وأحيانًا سلبية).[٣٦]

فأنشأت أول مدرسة عربية فرنسية سنة ١٨٣٦م، ولم يظهر هذا النوع من المدارس طيلة العشرين سنة التالية، فهذا كوليج الجزائر الفرنسي (college) لم يؤد إلى تمدرس الجزائريين ولا الفرنسيين؛ إذ دخله حينئذ ٣٢ تلميذًا فرنسياً أو أوربياً ثم انخفض ذلك العدد إلى ١٩ فقط؛ لأن الدراسة فيه كانت باللاتينية بدل الفرنسية والعربية الفصحى.[٣٧]

ثم إن جل المعمرين –حثالات فرنسا ونفايات سجونها– كانوا يعطلون مشروع فرنسة الجزائر لأغراض مالية أساساً، وخوفاً من انتشار الوعي بين الجزائريين؛ هذا الوعي جعل الجزائريين فعلاً ينتقلون من مقاطعة المدارس الفرنسية إلى المطالبة بحقهم فيها. ويؤكد مصطفى الأشرف على أن المطالبة بالتعليم كانت من جميع الجزائريين.٣٨

ففرنسا استغلت نزعة حب التعلُم عند الجزائريين لتحاول تكوين نخبة من المثقفين الجزائريين المتفرنسين، ولكنها لم تنجح.[٣٩]

ج. فرنسة المظاهر الاجتماعية: عملت فرنسا على هدم العالم الاجتماعي واللغوي الجزائري، وبناء محيط اجتماعي وثقافي ولغوي فرنسي يبتلع كل آثار اللغة العربية من المحيط الاجتماعي.[٤٠] ويظهر هذا في تغيير أسماء الشوارع والأبواب والمؤسسات... إلخ، وإعطائها أسماء–لامعة– رومانية وأوربية،[٤١] ودينية مسيحية وتاريخية.. وتغيير حتى أسماء الأشخاص عمداً مع النقل المشوه والممسوخ لهذه الأسماء من العربية إلى الفرنسية، كتقويض للقواعد الأسرية والقبلية. ينقل شاهد عيان أن وجه مدينة الجزائر ما بين سنتي ١٨٣٢م–١٨٣٣م قد أخذ يتحول عن الطابع الشرقي إلى الطابع الغربي.[٤٢]

لكن أخطر جريمة اجتماعية نفذتها إدارة الإحتلال –بطرق في منتهى الالتواء والخبث لتحقيق الفرنسة– كانت بتكريس الانبهار بالمدنية الفرنسية عند فئات اجتماعية معينة، منها:

- فرنسة أطفال الأعيان بنقلهم إلى فرنسا: قال كادي فو فيما يرويه المؤرخ الجزائري حمدان بن عثمان خوجة: (يجب أن نجمع على الأقل ٥٠ طفلًا من أبناء الأعيان يبعثون إلى فرنسا ليتعلموا اللغة)،[٤٣] في مؤسسة معروفة باستقبال المسلمين في باريس، ويُعيَّن لهم خبير في شؤون الإسلام والعرب، يراقبهم ويوجههم ويسافر معهم إلى الجزائر فيما بعد لزيارة أهلهم، ومراقبة مدى تنصل الفتى من تقاليده إلى التقاليد الجديدة الفرنسية.
- فرنسة شخصيات جزائرية مرموقة بإجبارهم على زيارة فرنسا: كان ثوماس روبرت بيجو (T. R. Bugeaud) يجبر بعض الأعيان– أعيان الحكم والعلم، من المدن والأرياف الذين تم اختيارهم ليمثلوا كل الأقاليم– على زيارات منظمة لباريس لتيْسير عملية غسل المخ المحكمة، فينقلونهم على بواخر لا قبل لهم بها، ويحاطون بأبهة مقصودة، فتكتب عنهم الصحف لإثارة الفضول نحوهم، ويزورون المتاحف والمسارح والساحات، ويُعلَّمون بعض الكلمات الفرنسية، وتقام حفلات على شرفهم يختلطون فيها بالنساء اللائي جيء بهن خصيصاً لهذا، وأخيراً يحظون بمقابلة الملك والوزير وبعض الشخصيات، وتنزل عليهم الهدايا والأوسمة والألقاب وعبارات الشكر والإطراء كالمطر، على أنهم ليسوا كغيرهم ممن ينكرون الجميل ولا يعترفون بالمجهود الحضاري الذي يقوم به جيش بيجو؛ لذا عليهم أن يكونوا دعاة لفرنسا والفرنسية في الجزائر.[٤٤]
- فرنسة الأطفال المعوزين داخل الجزائر: كالأولاد الصغار من اليتامى والمشردين وأبناء الفقراء، ولتنصيرهم تم جمعهم في ملاجئ هيئت لهذا الغرض.[٤٥]
- فرنسة المهاجرين إلى فرنسا: فبحكم دراستهم للغة الفرنسية واحتكاكهم بثقافتها، فقد أسهموا في ظهور هذه النخبة المفرنسة من العمال وغيرهم.[٤٦]
- ظهور جماعة النخبة في الجزائر: حيث في عام ١٩٠٧م لا يوجد في الجزائر أكثر من ٤٥٠ مثقفاً جزائريًا من جماعة النخبة. فالمتجنسين رسمياً يبدو عددهم قليل، يقول ليون فيكس (F. Lion) في هذا الشأن: (منذ عام ١٨٦٥م حتى عام ١٩٣٤م تجنس أقل من٢٥٠٠٠ مسلم جزائري بالجنسية الفرنسية، وهذا يؤلف المعدل المضحك وهو ٣٦ شخصاً في العام).[٤٧] أما المتجنسون غير الرسميين فيبدوا أن عددهم كبير، خاصةً من دخل أبناؤهم المدارس الفرنسية.[٤٨]

د. فرنسة العمل الاجتماعي الخيري: وكان بإنشاء جمعيات خيرية دينية واجتماعية، تجعل اللغة العربية غير إجرائية ولا فعالة في مجالها الحيوي. فالأب برومو (Brumault) أقام عدة ملاجئ في ابن عكنون وبوفاريك ووهران، وجعلها مراكز لتعليم الفلاحة ونشر مصطلحاتها الفرنسية، ومَنح للأطفال في الملاجئ ٢١,٥ فرنكات شهرياً لكل طفل، وتم غزو دين ولغة المرأة الجزائرية، عن طريق استدراج الفتيات لمشاريع تبدو مغرية ومحايدة ومربحة، كتعليمهن الخياطة والتطريز والتطبيب ونحوها.[٤٩]

هـ. إطلاق العنان للتبشير: فنشطت في مجال نشر اللغة الفرنسية نشاطاً لا مثيل له، على الرغم من أن المبشرين كانوا يستعملون لغة الأهالي في معظم المستعمرات بل كان يُترجم الإنجيل حتى إلى اللغات المحلية؛ لكن على الرغم من ذلك يقول كالفي: (..طيلة قرابة قرن، ارتقت الثقافة واللغة الفرنسيتان بالخارج بفضل تلك القنوات الدينية).[٥٠] ومن الغريب، الاستعانة بجيش من النساء المتحمسات للدين المسيحي خاصةً في المشاريع الخيرية كالتكوين المهني.

و. إنشاء المطابع وظهور الصحافة: (إن إنشاء المطبعة "الأفريقية" (في العاصمة) وظهور الصحافة في الجزائر كان حدثًا رمزيًا بارزاً في تاريخ الجزائر الحديث، رغم أن الصحافة قد استعملها العدو للتخدير لا للتثقيف).[٥١] وكانت تتدفق تدفقاً عجيباً حتى بلغت بين سنوات ١٨٤٧م-١٩٣٩م ما يزيد عن مائة وخمسين جريدة ما بين يومية ودورية.[٥٢]

ز. تدريس العربية الدارجة للفرنسيين: أسس الفرنسيون معهداً في باريس سنة ١٨٣٩م، أطلقوا عليه اسم "الكوليج العربي". ومن بين مهامه الترجمة من العربية الدراجة بحيث يتخصص فيها شبان فرنسيون، وهكذا سيصبح المعهد، حسب تعبير مؤسسيه 'مشتلة' للمترجمين المقدر لهم العمل في الجزائر.[٥٣] وهذا سيعمل على إذكاء التأثير اللغوي الفرنسي على الواقع الجزائري بتكريس مظاهر الاحتكاك السلبية كالاقتراض والتداخل اللغوي.

٣. تمويل حملة نشر الفرنسية: قد لا يهم كثيراً البحث في مصادر تمويل السياسة اللغوية الفرنسية؛ لأن الخزينة العامة للجزائر والأوقاف التي استولى عليها الاستعمار كفيلة بذلك، بل تعويض خسارة كل حملة عسكرية لفرنسا.[٥٤] الجدول الآتي خير دليل على الميزانية (بالفرنك) المقدمة للتعليم العام في الجزائر بين ١٩٠٢م و١٩٠٨م، وهي كما يأتي:[٥٥]

السنة	التعليم العام للكولون	التعليم العام للجزائريين
١٩٠٢	٥٠٨١٨٢٣	١٣٨٩٢٧٤

١٩٠٣	٥٥٥٨٩٧٨	١١٧٩١٦٥
١٩٠٤	٥٧٣٢٠٠٣	١٢٩٩٤٢٤
١٩٠٥	٧٨٤٧٣٦٨	١٣١٤٢٣٤
١٩٠٦	٨١٨٩٦٤٩	١٣٨٥٠٦٤
١٩٠٧	٨٩٥٥٣٩٠	١٥٤٩٤٦٤
١٩٠٨	٩٩٢٣٣٦٨	١٦١٧٦٣٩

وهذه الأرقام كانت في وقت تحسين التعليم للجزائر، والذي لم يسفر إلا على ٤٥٠ مثقفاً جزائرياً من خمسة ملايين نسمة!

٤. إنشاء منظمة الفرانكفونية: إن الفرانكفونية وجه آخر من السياسة اللغوية الفرنسية كما يقول كالفي، ٥٦ ويؤكد على حدثين بارزين- كرَّسَا فكرة تنظيم نشر الفرنسية وتأطيرها مادياً ومعنوياً، بعد شعور فرنسا بأن هناك أزمة في انتشارها، وهما: إنشاء مؤسسة (التحالف الفرنسي لنشر اللغة الفرنسية في المستعمرات وفي البلدان الأجنبية) عام ١٨٨٣م، وثانيهما الاهتمام المتعاظم باللغات الاصطناعية،[٥٧] وما يشكله من خطر على الفرنسية خارج حدود فرنسا.[٥٨]

سابعاً: تقييم جهود فرنسا لنشر اللغة الفرنسية

لقد حصدت فرنسا نتائج هزيلة في سياستها اللغوية المتعلقة بفرنسة التعليم؛ فالمدرسة لم تمس سوى نسبة ضعيفة من السكان: ٢% في سنة ١٨٨٨م، و٣,٥% في سنة ١٩٠٢م، و٤,٥% في سنة ١٩١٢م، و٥ % في سنة١٩١٤م، و٨,٩% في سنة ١٩٣٨م.[٥٩]

إن فرنسا لم تكن تهدف إلى تثقيف الجزائريين، فقد كان من المتوقع أن فرنسا بعد أن اضطهدت العربية ستعوضها بالفرنسية، غير أن ذلك لم يحدث أيضًا. فالمؤرخ للقرن التاسع عشر للجزائر لا يكاد يعثر فيه على عالم جزائري حقيقي واحد لا بالعربية ولا بالفرنسية.[٦٠]

فالمشروع اللغوي الفرنسي بإمكاناته الهائلة كاد يصيب أهدافه المرسومة بكل دقة ومهارة وفقاً لما خططه لها قادة الاحتلال، فقد كادت- لولا حفظ الله- اللغة العربية وثقافتها تندثران في الجزائر بعد مرور قرن من الاحتلال، حتى إن وزير خارجية فرنسا السابق السيد كلود شيسون (C. chaisson) يقول: (..إنني أتألم اليوم مع الجزائريين، وأخجل من النتائج التي تركها بلدي هناك، حيث لم تقدم فرنسا خلال ١٣٢ سنة لاحتلالها واستباحتها للجزائر إلا ٨٢% من الأمية).[٦١]

وعن طابع العدائية الذي ظل يلازم فرنسا في سياستها الفرونكفونية، فإن جان لويس كالفي يؤيد كلاوس بوشمان (K. ochman) اللساني الألماني الذي قارن بين السياسات اللغوية في مختلف الدول الفاشية، فوجد فيها أربع مميزات ملازمة، وهي:

- التعصب لأجل نقاء اللغة الوطنية، وكره لغات الآخرين.
- مركزية معادية (مضادة) للهجات.
- مركزية متعصبة للوطن تعادي الأقليات الوطنية.
- نزعة إلى الاستعمار أو إلى التوسع اللغوي خارج الحدود.

هذه النزعات الأربع نجدها في العديد من السياسات اللغوية، وخاصة في السياسة اللغوية الفرنسية في مراحل مختلفة من تاريخها.[٦٢]

الخاتمة:

نخلص في نهاية هذا المقال إلى النتائج الآتية:

١. ظهور اللغة الفرنسية على الساحة اللغوية الجزائرية لم يكن ظهورًا بريئًا.

٢. العامية شكلت الخطوط الخلفية للفصحى؛ لأن العربية الفصحى خنقت في مجالاتها الحيوية؛ أما الأمازيغية فحاولت فرنسا جعلها شوكة في خاصرة الكيان اللغوي الجزائري.

٣. السياسة اللغوية التي رسمتها فرنسا للجزائر كان هدفها إحداث تغيير اجتماعي كبير عن طريق الفرنسة.

٤. لقد كان لفرنسا سياسة لغوية خاصة بالجزائر، رتبت فيها الأولوية لنشر الفرنسية على حساب اللغة العربية والأمازيغية. ففرنسا رصدت الوضعية اللغوية الجزائرية، ثم حددت أهدافها، واستراتيجياتها.

٥. من نتائج السياسة اللغوية التي رسمتها فرنسا، ما يأتي:

- عدم استفادة كل فئات المجتمع من التعليم الرسمي؛ لأن التعليم كان موجهاً أو بالأحرى مُسيَّساً، ولم يكن هدفه تعليم الجزائريين لا الفرنسية ولا العربية.
- تكوين فرنسا لنخبة جزائرية فرنسية اللسان، مثقفة ثقافة غربية، منبهرة بمدنيتها، حظيت بمناصب عمل، فأبدت الإخلاص للمستعمر وتنكرت لأمتها ولغتها وطالبت بتعويضها بالفرنسية. وهذا أدخل جماعة النخبة في صراع مع الذات ومع المحافظين الوطنيين.

- العربية الفصحى والعامية والأمازيغية كانت تنعم بالتعايش والاستقرار منذ قرون، إلا أن السياسة اللغوية الفرنسية حاولت إدخالها في علاقة قوة وصراع؛ ليخلو الجو للغتها فتسُود وسط الفرقة بوصفها حلاً محايداً يرتضيه الجميع.
- السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر كانت سياسة تقويضية لكل البنى اللغوية والاجتماعية المتعايشة.

هوامش البحث:

[١] انظر: الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، د.ت)، ج٣، ص٣٦٢-٣٩٧. من بين ما جاء في تعاريف السياسة أنها: فن ممارسة القيادة والحكم، وهي أيضًا النشاط الاجتماعي الفريد من نوعه الذي ينظم الحياة العامة، ويضمن الأمن ويقيم التوازن والوفاق -عبر القوة الشرعية والسيادة- بين الأفراد والجماعات المتنافسة والمتصارعة في وحدة الحكم المستقلة على أساس علاقات القوة، والذي يحدد أوجه المشاركة في السلطة بنسبة الإسهام والأهمية في تحقيق الحفاظ على النظام الاجتماعي وسير المجتمع، وهي في تعريف آخر: علم دراسة المصالح المتضاربة وانعكاسها على تكوين السلطة والحفاظ على امتيازات الطبقة الحاكمة.

[٢] المرجع السابق، ج٣، ص٣٧٣.

[٣] انظر: الجراد، خلف، "علم السياسة ومقدماته اليونانية"، **مجلة الفكر السياسي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع (٣١)، ٢٠٠٧م، ص١٦.

[٤] هو وصفي؛ لأنه غير إضافي مثل "علم السياسة" وهو بسيط؛ لأنه غير موسع مثل "علم السياسة اللغوية". انظر: المجيول، سلطان ناصر ، **نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية في النصف الثاني من القرن العشرين**، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية، جامعة الملك سعود، إشراف محيي الدين عثمان محسب، ٢٠٠٦م، ص٢٥١-٢٥٥.

[٥] انظر:

Louis Jean Calvet, La Guerre des Langues et les politiques linguistiques, (Hachette Littératures, France, 1999), p154-155.

وانظر: كالفي، لويس جان، **علم الاجتماع اللغوي**، ترجمة: محمد يحياتن، (الجزائر: دار القصبة للنشر، ٢٠٠٦م)، ص١١١.

[٦] جيمس و. طوليفصون، **السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها**، ط١، ترجمة: محمد الخطابي، (الرباط: مؤسسة الغنى، ٢٠٠٧م)، ص٢٥.

[٧] زكريا، ميشال، **قضايا ألسنية تطبيقية**، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)، ص١٣؛ وانظر: بوكوس، أحمد، **الأمازيغية والسياسة اللغوية والثقافية بالمغرب**، ط١، (الرباط: مركز طارق بن زياد، ٢٠٠٣م)، ص٢٠.

[٨] انظر:

Calvet , La Guerre des Langues » ,2eme Partie "Le champ de bataille ", 3eme Partie « Dans les etas-majors", P79. et P153.

[٩] انظر: عفيفي، عبد الفتاح، **علم الاجتماع اللغوي**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٥م)، ص١٨٤.

[١٠] جمع استراتيجية، وهي: (علم وفن وضع الخطط العامة المدروسة بعناية والمصممة بشكل متلاحق ومتفاعل ومنسق لاستخدام الموارد "مختلف أشكال الثروة والقوة" لتحقيق الأهداف الكبرى. شاع استخدام المصطلح في العقود الأخيرة وهو من أصل يوناني ويعني فن الأشياء أو الخطط العامة). انظر: الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج١، ص١٦٩.

[١١] انظر: دباش، عبد الحميد، **محاضرات في مقياس التهيئة اللغوية**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

[١٢] انظر:

Calvet , La Guerre des Langues, p3, 28.

[١٣] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية ١٨٣٠–١٩٠٠**، ط١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م)، ج١، ص٩٣. نقلاً عن تقرير في أرشيف إيكس ١٧٣٢ ٨٠ F. وتاريخه: باريس ٢٥ أكتوبر١٨٣٧.

[١٤] الإبراهيمي، أحمد طالب، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م) ج٣، ص٢٣. الكلام لمحمد الهادي الحساني، تحت عنوان السياق التاريخي.

[١٥] وهي: (مجموعة الخصائص والمميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة، والتي تتوارث عن ماضي ذي تاريخ وتراث، وبما في التراث من لغة ودين، ما للأمة من انتصارات وانتكاسات وطموحات وانتماءات وخصائص؛ تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره..). بلعيد، صالح، **في الهوية الوطنية**، (الجزائر: دار الأمل، ٢٠٠٧)، ص٤٢. نقلًا عن: بوطالب، عبد الهادي، **أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي**، مطبوعات أكاديمية الرباط، ع (٨)، ١٩٩١م، ص١٠٧–١٠٨.

[١٦] انظر: فضيل، عبد القادر، "محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال"، **مجلة اللغة العربية**، عدد ممتاز، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص٢٥٣؛ وانظر: عمر برامه " اللغة العربية بين العزة والكرامة والخذلان والمهانة"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٤١١.

[١٧] فقد كانت تسمي جيشها جيش أفريقيا. وقد شاعت كلمة "الإفريقي في عدة استعمالات أخرى، فكان هناك: قناصة إفريقية، واللجنة الإفريقية، والمطبعة الإفريقية، وهلم جراً، فكأن الجزائر كلها أصبحت رمزاً لأفريقية أو كأن الفرنسيين كانوا يخططون لاحتلال أفريقيا كلها من الجزائر". انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية**، ج١، ص٣٧. (الهامش).

[١٨] انظر: فضيل، عبد القادر، "محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٢٥٢.

[١٩] الأوراغي، محمد، **التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي**، ط١، (الرباط: منشورات كلية الآداب، مطبعة الناجح الجديدة، ٢٠٠٢م)، ص١٧٨.

[٢٠] الإبراهيمي، خولة طالب، **الجزائريون والمسألة اللغوية**، ترجمة: محمد يحياتن، (الجزائر: دار الحكمة، ٢٠٠٧م)، ص٢٨.

[٢١] انظر: المرجع السابق، ص٣١.

[٢٢] الأوراغي، محمد، **التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي**، ص١٧٨–١٧٩.

[٢٣] انظر: الإبراهيمي، خولة طالب، **الجزائريون والمسألة اللغوية**،ص٢٧.

[٢٤] مقران، يسلي، "الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل"، ص٦٠. نقلًا عن: **جريدة البصائر**، ع (٢٣)، السنة١، ١٢ يونيو١٩٣٨، ص٢.

[٢٥] انظر: الأوراغي، محمد، **التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي**، ص٣٥–٣٦، وانظر: ص١١٢–١٢٧.

[٢٦] المرجع السابق، ص١٣٠؛ و.Calvet , La Guerre des Langues, p256

[٢٧] انظر: عباس، فرحات، **ليل الاستعمار**، ترجمة: أبو بكر رحال، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ٢٠٠٦م)، ص٥٣.

[٢٨] انظر: بن نعمان، أحمد، "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٢٣٥.

[٢٩] رابح، تركي، **التعليم القومي**، ط٢، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١م)، ص١٣١.

[٣٠] ألفريد رامبو (A. Rimbaud) كان وزيرًا للتعليم عام ١٨٩٧ م؛ حيث قال: (كان الغزو الأول قد تم بالسلاح، وانتهى مع عام ١٨٧١م بانتزاع السلاح من بلاد القبائل –يشير إلى ثورة الشيخ الحداد–. ويتمثل الغزو الثاني في حمل الأهالي على أن يقبلوا بإدارتنا وبعدالتنا، وسوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة: إذ يجب أن نضمن السيطرة للغتنا). الميلي، محمد، "وضعية العربية خلال العهد الاستعماري"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٤٨.

[٣١] رابح، تركي، **التعليم القومي**، ص١٠٦.

[٣٢] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية**، ج١، ص١٧. "جول كامبون" حَكَم الجزائر بين (١٨٩١–١٨٩٧).

[٣٣] انظر: الإبراهيمي، خولة طالب، **الجزائريون والمسألة اللغوية**، ص٢٧.

[٣٤] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، د ط، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (١٩٨٦)، ج٢، ص٢٥.

[٣٥] انظر: فضيل، عبد القادر، "محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٢٥٧؛ وانظر للاستزادة: زغيدي، محمد لحسن، "محاربة الاحتلال للغة والثقافة العربية وموقف الحركة الوطنية"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٣٨٦-٣٨٧.

نقلًا عن: حلوش، عبد القادر، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ص١٩٨-١٩٩-١٤٣-١٤٤-١٥٠-١٥٩-١٦٣.

[٣٦] بن نعمان، أحمد، "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٢٢٨.

[٣٧] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية** ١٩٠٠- ١٩٣٠، ط٤، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م)، ج١، ص٩٢-٩٣، وانظر: ص٢٥٣.

[٣٨] انظر: المرجع السابق، ج٢، ص١٧٤.(الهامش) ويقول مصطفى الأشرف بأن هذا: (من قبيل حكم الضرورة؛ أي أن الشعب الذي عرف تقاليد ثقافية طويلة، يشق عليه قبول الفراغ الفكري ويحس بأنه قادر من أجل الاستجابة إلى هذه الحاجة على تبني لغة أخرى على حساب لغته الخاصة التي حضرت عليه). انظر: الإبراهيمي، خولة، **الجزائريون والمسألة اللغوية**، ص٣٠.

[٣٩] انظر: فضيل، عبد القادر، "محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٢٦٢.

[٤٠] انظر: الإبراهيمي، خولة طالب، **الجزائريون والمسألة اللغوية**، ص٢٧.

[٤١] لعل وجود تسميات غير فرنسية يعود إلى وجود جنود ومعمرين غير فرنسيين. من هذه الأسماء: شارع يوبا، شارع شارل الخامس، شارع دوكين، شارع دوريا، شارع كليبر. وكذلك تسمية باب المرسى(باب الجهاد) باسم باب فرنسا، وأسماء فرنسية مثل: شارع أورليان، وترواكولار (الألوان الثلاثة)، ولاشارت...إلخ.

[٤٢] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية**، ج١، ص٧٠-٧١.

[٤٣] أحمد بن نعمان، "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٢٢٧-٢٢٨.

[٤٤] انظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج١، ص٢٣٢-٢٤٠.

[٤٥] من أهمها: ملجأ"ابن عكنون" "القديس ميشال" "بيت بوفاريك" التي كانت تضم حوالي ٢٥٠ طفلًا. وفي سنة ١٨٦٧م شرع الكاردينال لافيجري (Lavigerie) الذي أسس "بيت بوفاريك" في تنفيذ خطة كبيرة وخطيرة تقضي بتنصير الأطفال، ثم يجعل منهم "آباء بيضا" ليتولوا الدعوة إلى الديانة المسيحية بين أهليهم، ثمّ كثفت فرنسا من نشاط الإرساليات المسيحية تحت أسماء هيئات تعليمية، وجمعيات خيرية، وإمعانًا في التمويه أطلقوا على أنفسهم اسم "الآباء البيض"، فكانوا يرتدون ثيابا بيضاء وبرانيس مثل الأهالي تماماً، فبلباسهم هذا كأنهم رجال الدين الإسلامي ومشايخ الزوايا، على الرغم من أن القساوسة في فرنسا يرتدون اللباس التقليدي الأسود. انظر: مقران، يسلي، **الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل١٩٢٠-١٩٤٥**، (الجزائر: دار الأمل، ٢٠٠٧م، ص١٢٩؛ وانظر: بن نعمان، أحمد، "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٢٣٣.

[٤٦] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية**، ج٢، ص١٢٨-١٢٩.

[٤٧] مرتاض، عبد الجليل، "الوضع الاجتماعي في الجزائر خلال العهد الفرنسي"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٤٥٣.

[٤٨] انظر: غلام الله، بوعبد الله، "نظرة على التعليم الأهلي في سهل الشلف خلال النصف الأول من القرن العشرين"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص٤٢.

[٤٩] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية**، ج١، ص٣٧٢-٣٧٣.

[٥٠] كالفي، **السياسات اللغوية**، ص١٠٩.

[٥١] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج١، ص٩١.

[٥٢] انظر: ناصر، محمد بن صالح، **الصحف العربية الجزائرية من١٨٤٧إلى١٩٥٤**، ط٢، (الجزائر :نشر ألفا ديزاين، ٢٠٠٦م)، ص٩.

[٥٣] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية**، ج١، ص٢٥٢-٢٥٣.

[٥٤] تؤكد وثائق الفرنسيين بأن الخزينة التي تقع في القصبة والتي استولوا عليها كانت تحتوي على حوالي ٢٤٠٠٠٠٠ جنيه إسترليني ذهباً. ويذكر المؤرخون أن الداي علي خوجة قد استعمل سنة ١٨١٧م ٥٠ بغلاً كل ليلة لمدة خمس عشرة ليلة؛ لنقل محتوى الخزانة عند نقل الخزانة والحكومة من مقرهما العادي إلى القصبة، وقد قدر عندئذ أن الخزينة لم تكن تحتوي على أقل من ٥٠ مليون دولار ذهباً.

انظر: سعد الله، أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط٢، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١م)، ج١، ص٢٦٢-٢٦٣.

[٥٥] المرجع السابق، ج٢، ص١٤٢-١٤٣.

[٥٦] انظر: كالفي، **السياسات اللغوية**، ص١١٤-١١٥.

[٥٧] هي لغات مصطنعة أريد لها أن تقوم بوظيفة العالمية بين الدول، أشهرها: الإسبرنتو (Espéranto) ١٨٨٧م.

[٥٨] - انظر:

Calvet , La Guerre des Langues, p25-251.

[٥٩] انظر: الإبراهيمي، خولة طالب، **الجزائريون والمسألة اللغوية**، ص٣٠-٣١.

[٦٠] انظر: سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية**، ج٢، ص٦٣.

[٦١] قادري، أحمد، "مأساة اللغة العربية بالجزائر"، **اللغة العربية**، عدد ممتاز، ص١٦٠. نقلًا عن: جريدة "الشرق الأوسط"، ونقلته جريدة "الجمهورية" بتاريخ ١٩٩٢/٠٧/٠٤؛ وانظر: رابح، تركي، **التعليم القومي**، ص٥١.

[٦٢] انظر:

Calvet , La Guerre des Langues, p261-262.

References: **المراجع:**

Aʿbās, Farḥāt, Lail al-Istiʿāmār, Tarjamah: Abū Bakr Raḥāl, (Algeria: al-Muʾassasah al-Waṭaniyyah lilfunūn al-Maṭbaʿiyyah, 2006).

Abū al- Qāsim, Saʿd Allāh, *al-Ḥarakah al-Waṭaniyyah 1830-1900*, 2nd edition, (Beirut: Dār al-Ghrb al-Islāmiy, 1992).

Abū al-Qāsim, Saʿd Allāh, *Abḥāth wa ʾārāʾ fī Tārīkh al-Jazāiʾr*, 2nd edition, (Algeria: al-Sharikah al-Waṭaniyyah Lilnashr wa al-Tawzīʿ, 1981).

ʿafīfi, ʿabd al-Fatāḥ, ʿilm al-ʾijtimāʿ al-lughawiyy, (Cairo: Dār al-Fikr al-ʿarabiyy, 1995).

Al-Awrāghi, Muḥammad, *al-Taʿaddud al-Lughawiyy wa ʾinʿikāsātuh ʿalā al-Naṣ al-ʾijtimāʿiyy*, 2nd edition, (Al-Rabāṭ: Manshūrāt Kulliyyah al-ʾādāb, Maṭbaʿah al-Najāaḥ al-Jadīdah, 2002).

Al-Ibrāhīmi, Aḥmad Tālib, *Āthār al-Imām Muḥammad al-Bshīr al-Ibrāhīmiy*, 1st edition, (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmiy, 1997).

Al-Ibrāhīmi, Khwlh Tālb, *al-Jazāʾiriyūn wa āl-masaʾlah al-Lughawiyyah*, Tarjamah: Muḥammad Yaḥyātin, (Algeria: Dār al-Ḥikmahh, 2007).

Al-Jarād, Khalaf, "ʿlm al-Siyāsah wa Muqdimāt al-Yūnāniyyah", *Majalah al-Fikr al-Siyāsi*, Etḥād al-kuttāb al-ʿarab, Damascus, No.31, 2007.

Al-Kayāli, ʿabd al-Wahāb, Mawsūʿah al-Siyāsah, (Beirut: al-Muaʾssasah al-ʿarabiyyah Lildirāsāt wa al-Nashr, Dār al-Hudā, no. date.

Al-Mjywl, Sulṭān NāṣIr , Naql Muṣṭalaḥāt al-Lisāniyāt al-ʾijtimāʿiyyah ʾilā al-ʿarabiyyah al-Niṣf al-Thāni min al-Qarn al-ʿishrīn, Resālah Mājstīr, Maʿhad al-Lughah al-ʿarbiyyah, Jāmiʿah al-Malik Suʿūd, Ashraf Muḥiy al-Dīn ʿuthmān Maḥsib, 2006).

Balʿīd, Sāliḥ, *fī al-Huwiyyah al-Waṭniyyah*, (Algeria: Dār al-ʾamal, 2007).

Būkūs, Aḥmad, *al-MāzIghiyyah wa āl-Siyāsah al-Lughawiyyh wa al-Thqāfah Bilmaghrib*, 1st edition, (Al- Rabāṭ: Markaz Tāriq Bin Ziyād, 2003).

Būṭālib, ʿabd al-Hādi, *Azmah al-Huwiyyah fī Nuẓum al-Taʿlīm fī al-ʿālm al-Islāmiy*, Maṭbūʿāt Akādimiyah al-Rabāṭ, No. 8, 1991.

Calvet, La Guerre des Langues, 2eme Partie, *Le champ de bataille*, 3eme Partie (Dans les etas-majors).

Dabāsh, ʿabd al-Hamīd, *Muḥāḍrāt fī Miqyās al-Tahyiʾah al-Lughawiyyah*, Kulliyyah al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-ʾinsāniyyah, Jāmiʿah al-Hāj lkhḍīr, Bātin, no date.

Guhlām Allāh, abū ʿabd Allāh, "Naẓrah ʿalā al-Taʿlīm al-ʾahli fī Sahl al-Shalaf khilāl al-Niṣf al-ʾawal min al-Qarn al-ʿIshrīn", *al-lughah al-ʿarbiyyah*.

Halūsh, ʿabd al-Qādir, *Siāsah Faransā al-Taʿlīmiyyah fī al-Jazāʾir*, (no date).

James w. Tulifṣūn, *al-Siyāsah al-Lughawiyyhah khalfiyātuhā wa MqāṣIdUhā*, 1st edition, Tarjamah: Muḥammad al-Khṭābi, (Morocco, al-Rabāṭ: Muaʾssasah al-ʿanā, 2007).

Kālfī, Luyīs jān, ʿilm al-ʾijtimāʿ al-Lughawiyy, Tarjamah: Muḥammad Yaḥyātin, (Algeria: Dār al-Qaṣabah Lilnashr, 2006).

Louis, Jean Calvet, *La Guerre des Langues et les politiques linguistiques*, (Hachette Littératures, France,1999).

Maqran, Yusli, *al-Ḥarakah Al-Dīniyyah wa al-ʾiṣlāḥiyyah Fī Minṭaqhah al-Qabāʾil 1920-1945*, (Algeria: Dār al-ʿamal, 2007).

Nāṣir, Muḥammad Bin Ṣāliḥ, *al-Suḥuf al-ʿarbiyyah al-Jazāʾiriyyah min 1847 ʾilā 1954*, 2nd edition, (Algeria : Nashr Alfā Dyzānīn, 2006).

Rābiḥ, Turky, *al-Taʿlīm al-Qawmiy*, 2nd edition, (Algeria: al-Sharq al-Waṭaniyyah Lilnashr wa al-Tawzīʿ, 1981).

ʿumar Barāmh " al-Lghah al-ʿarbiyyah byna al-ʿizah wa al-Karāmah wa al-Khudhlān wa al-ʾamānah", *al-lughah al-ʿarbiyyah*, ʿ

Zakriyā, Mishāl, *Qḍāyā al-Lisāniyah Tṭbīqiyah*, 1st edition, (Beirut: Dār al-ʿilm Lilmlāyīn, 1993).